السـراب

عـن الـشـافـعـي أنه قـال: قـد ألـفـت هـذه الـكـتـب، و لـم آل فـيـهـا، و لابـد أن يـوجـد فـيـه الخـطـأ؛ لأن اللّه تعـالـى يـقـول: "و لـو كـان مـن عـنـد غـير اللّه لـوجـدوا فـيـه اخـتـلافًـا كـثـيرًا" (سـورة الـنـسـاء، الآيـة ٨٢)، فـمـا وجـدتم في كـتـبـي هـذه مـا يخـالـف الـكـتـاب و الـسـنـة، فـقـد رجـعـنـا عـنـه". (الـتـعـريـف بآداب الـتـألـيـف ٢٤)

تألـيـف

خـالـد إبـراهـيـم الـشـرقـاوي

khaledsharkawy369@gmail.com

أولا: المنهج النبوي في الدعوة إلى اللّه. ٨

ثانيًا: دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب نموذجًا ١٣

ثالثًا: المنهج الباطل في الدعوة إلى اللّه ٢٠

رابعًا: الجزائر نموذجًا ٢٤

الفتاوى٣٨

الدماء الدماء ٤٧

خوفٌ و أمل٤٨

أخي في اللّه ، أحبك في اللّه ٥٠

الحمد للّه الذي خلق فأمر ، و قدَّر فهدى ، و حَكُم فحَكم ، و عَزَّ فقضَى ، "الرَّحْمَن عَلى الْعَرْشِ اسْتَوَى . له مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَا فِي الأَرْضِ وَ مَا بَيْنَهمَا وَ مَا تَحْتَ الثَّرَى" [1]، "وَ لِلَّه مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَا فِي الأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءوا بِمَا عَمِلُوا وَ يَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحسْنَى" [2]، تمَّت كلمته صدقًا و عدلا ، و خلق الموت و الحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا، يعلم ما بين أيديهم و ما خلفهم و لا يحيطون به علما ، "وَ مَنْ يَأْتِهِ مؤْمِنًا قدْ عَمِل الصَّالِحَاتِ فأُوْلئِكَ لهُم الدَّرَجَات الْعلى جَنَّات عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَار خَالِدِينَ فِيهَا وَ ذلِكَ جَزَاء مَن تَزَكَّى" [3]

و الصلاة و السلام على النبي محمدٍ الذي لا ينطق عن الهوى، ، إن هو إلا وحيٌ يُوحى ، علَّمه شديد القُوَى، الذي بلغ ملكُ أمته ما له من الأرض انزوى [4] ، من أطاعه دخل الجنة ، و من عصاه فقد أبى [5]،

و على إبراهيم الذي وفَّى [6]، و صَدَّق الرؤيا، و على نوح الذي أمره ربه فدعا قومه ليلا و نهارا ، و لبث فيهم ألف سنةٍ إلا خمسين عاما، و على موسى الذي قال

---

[1] سورة طه ، الآيتان ٥ ، ٦ .

[2] سورة النجم ، الآية ٣١ .

[3] سورة طه، الآيتان ٧٥، ٧٦.

[4] " عن ثوبان قال : قال رسول اللّه – صلى اللّه عليه و سلم : إن اللّه زوى لي الأرض ، أو قال إن ربي زوى لي الأرض ، فرأيت مشارقها و مغاربها ، و إن ملك أمتي سيبلغ ما زوي لي منها " (سنن أبي داود ٤٢٥٢ ، و قال الشيخ العلامة الألباني : صحيح)

[5] أخرج البخاري ، عَنْ أَبِي هرَيْرَة ، أَنَّ رَسول اللَّه – صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَ سَلَّمَ – قال : " كُلُّ أُمَّتِي يَدْخلُون الْجَنَّة إِلاَّ مَنْ أَبَى ، قالُوا : يَا رَسول اللَّه ، وَ مَنْ يَأْبَى قال : مَنْ أَطاعَنِي دَخَل الْجَنَّة ، وَ مَنْ عَصَانِي فقدْ أَبَى " (صحيح البخاري ٧٢٨٠) .

[6] أي : " قام بجميع ما ابتلاه اللّه به ، و أمره به : من الشرائع ، و أصول الدين ، و فروعه " (تيسير الكريم الرحمن ٨٢٢/١) .

: "وَعَجِلْت إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى"[1] ، و على عيسى بن مريم الذي جاء بالبشرى[2]، و أوصاه ربه بالصلاة و الزكاة ما دام حيًا .

و على أبي بكرٍ الصديق الذي صَدَّقَ و آوى ، و على عمر بن الخطاب الذي رعى نبت الإسلام حتى بلغ أشده و استوى ، و على عثمان بن عفان الذي منه الملك استحيا ، و على عَلِيّ بن أبي طالب الذي بات في فراش المصطفى ، و على بقية العشرة أصحاب البشرى ، و على أهل غزوة بدرٍ الكبرى ، و على أصحاب البيعة، أهل الرضوى، و على كل من صحب النبي المجتبى.

و بعد

" إنني أؤمن بحاكميَّة اللّه، و أن الحكم للّه وحده، و أؤمن بشمول هذه الحاكميَّة، و أنَّه يجب أن يخضع لها: الأفراد و الجماعات و الحكام و الدعاة."[3]. كما قال – جل ذكره: " إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُون"[4]

و إن حاجة الناس إلى الشريعة فوق كل حاجة – لو يعلمون، الشريعة الكاملة، التي ما من خيرٍ إلا و دلت عليه، و ما من شرٍ إلا و حذرت منه.

و لكن المسلم يدُورُ مَعَ الحقِّ حَيْثُ دَار، و يسِير مع الخبَرِ حَيْثُ سَار؛ َالقُرآن – لُه – مَنَار، و الحُدِيثُ شِعَار، و الأَثَرُ دِثَار.

---

[1] سورة طه ٨٤ .

[2] قال تعالى :" وَإِذْ قال عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيل إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَد فلمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذا سِحْرٌ مُبِينٌ " (سورة الصف ٦)

[3] منهج الأنبياء في الدعوة إلى اللّه فيه الحكمة و العقل ١٣١.

[4] سورة يوسف، الآية ٤٠.

"و قد قال الإمام أحمد – رضي اللّه عنه: رأي فلان و رأي فلان و رأي فلان عندي سواء ، و إنما الحجة في الآثار.

و روى ابن عبد البر بسنده ، عن عبد اللّه بن الإمام أحمد بن حنبل ، عن أبيه – رضي اللّه عنه:

دين النبي محمد آثار نعم المطية للفتى الأخبار
لا تَعْدُ عن علم الحديث و أهله فالرأي ليل و الحديث نهار
و لربما جهل الفتى طرق الهدى و الشمس طالعة لها أنوار

و قال بعض أهل العلم – و أحسن:

العلم قال اللّه قال رسوله قال الصحابة ليس خلف فيه
ما العلم نصبك للخلاف سفاهة بين النصوص و بين رأي فقيه"[1].

[1] لوامع الأنوار البهية و سواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية ١/٧.

قال اللّه تعالى:

"الْيَوْمَ أَكْمَلْت لكُمْ دِينَكُمْ
وَأَتْمَمْت عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي
وَرَضِيت لكُم الْإِسْلَامَ دِينًا"

أولا: المنهج النبوي في الدعوة إلى اللّه.

قال اللّه – تعالى: "وَمَا خَلَقْت الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدونِ"[1]
"هذه الغاية، التي خلق اللّه الجن والإنس لها، وبعث جميع الرسل يدعون إليها، وهي عبادته، المتضمنة لمعرفته ومحبته، والإنابة إليه والإقبال عليه، والإعراض عما سواه، وذلك يتضمن معرفة اللّه تعالى، فإن تمام العبادة، متوقف على المعرفة باللّه، بل كلما ازداد العبد معرفة لربه، كانت عبادته أكمل، فهذا الذي خلق اللّه المكلفين لأجله، فما خلقهم لحاجة منه إليهم."[2]

و قال – جل ذكره: "وَلقدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أمَّةٍ رَسولًا أنِ أُعْبدوا اللَّهَ وَاجْتَنِبوا الطَّاغُوتَ"[3]
قال الشيخ عبد الرحمن السعدي: "ما من أمة متقدمة أو متأخرة إلا و بعث اللّه فيها رسولا و كلهم متفقون على دعوة واحدة و دين واحد، و هو عبادة اللّه وحده لا شريك له"[4]

و قال – سبحانه و بحمده: " فهَلْ عَلى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلاغُ الْمُبِينُ"[5]
"وهذه مهمة الإنذار والتبشير والإبلاغ مهمة جليلة عظيمة نبيلة، يكفيها عظمة و نبلاً أنَّها مهمة الأنبياء وتتناسب مع مكانتهم الرفيعة فإنها أشق وأعظم ما يتحمله البشر و ورثتهم من الدعاة الصادقين المخلصين السائرين في مناهجهم و اللّه سبحانه وتعالى، لم يكلفهم – ابتداء – كما في سيرهم و قصصهم بإقامة دول وإسقاط أخرى؛ و لهذا لا يتبعهم في الغالب إلا

[1] سورة الذاريات، الآية ٥٦.
[2] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ٨١٣/١.
[3] سورة النحل، الآية ٣٦.
[4] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ٤٤٠/١.
[5] سورة النحل، الآية ٣٥.

الفقراء والمساكين والضعفاء، و ما يؤمن معهم إلا قليل.

و لا يغض ذلك من منازل الأنبياء مثقال ذرة بل هم في أعلى المنازل وهم أنبل الناس وأجل الناس وأكرمهم وفوقهم في كل شأن في الرجولة والشجاعة والفصاحة والبلاغة والبيان والنصح والتضحية.
وقد قاموا بواجبهم على أكمل الوجوه من الدعوة إلى التوحيد والتبليغ والتبشير والإنذار، فإذا قل أتباعهم أو لم يتبع بعضهم أحد، فالعيب كل العيب على الأمم التي رفضت الاستجابة لدعوتهم لأنها في نظرهم لا تحقق لهم أغراضهم الدنيئة.

و قد يهدي اللّه قوم نبي من الأنبياء فيستجيبون له أو كثير منهم فتكون لهم دولة، ثمرة طيبة، لإيمانهم وتصديقهم وأعمالهم الصالحة، فيقومون بواجبهم من الجهاد لإعلاء كلمة اللّه و تطبيق التشريعات والحدود وغيرها من الأمور التي شرعها اللّه لهم كما حصل لنبينا محمد – صلى اللّه عليه و سلم – وأصحابه الكرام توج اللّه إيمانهم وعملهم الصالح وصبرهم الجميل على بغي المشركين وتطاولهم بأن نصرهم، وأظهر دينهم، ومكن لهم في الأرض، كما قال تعالى:
"وَعَدَ اللَّه الَّذِينَ آمَنوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَ لَيمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهم الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَ لَيبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبدونَنِي لا يشْرِكُون بِي شَيْئًا"[1]
و مع ذلك فما كانوا طلاب ملك بل كانوا دعاة هداية و توحيد و لا كانوا يُعدّون أتباعهم للثورات والانقلابات السياسيَّة، و المظاهرات، و الوقفات الاحتجاجية، و الانتخابات.

و لقد عُرض على رسول اللّه – صلى اللّه عليه و سلم – الملك بمكة فرفض إلا

[1] سورة النور، الآية ٥٥.

المضي في الدعوة إلى التوحيد و نبذ الشرك و الأوثان"[1]

فقد كان من منهجه – صلى اللّه عليه و سلم – في الدعوة أنه لم يطلب الملك، و لا الشرف، و لا المال، و إنما يدعو إلى اللّه، كما قال – تعالى: " قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعو إِلى اللَّهِ عَلى بَصِيرَةٍ أَنَا وَ مَنِ اتَّبَعَنِي وَسبْحَان اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمشْرِكِينَ"[2].

يحدثنا عن ذلك جابر بن عبد اللّه الأنصاري – رضي اللّه عنه، فيقول: أرسلت قريش ، عتبة بن ربيعة – و هو رجل رزين هاديء – فذهب إلى رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم يقول : يا ابن أخي ، إنك منا حيث قد علمت من المكان في النسب ، وقد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم ، فاسمع مني أعرض عليك أمورا لعلك تقبل بعضها . إن كنت إنما تريد بهذا الأمر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا . وإن كنت تريد شرفا سودناك علينا فلا نقطع أمرا دونك . وإن كنت تريد ملكا ملكناك علينا . وإن كان هذا الذي يأتيك رئيا تراه لا تستطيع رده عن نفسك ، طلبنا لك الطب ، وبذلنا فيه أموالنا حتى تبرأ . فلما فرغ قوله تلا رسول اللّه عليه الصلاة والسلام صدر سورة فصلت : " حم . تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُه قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقوْمٍ يَعْلمون . بَشِيرًا وَ نَذِيرًا فأَعْرَضَ أَكْثرهمْ فَهمْ لا يَسْمَعون . وَقَالُوا قُلُوبنَا فِي أَكِنَّة مِمَّا تَدْعونَا إِلَيْه وَ فِي آذانِنَا وَقْرٌ وَ مِنْ بَيْننَا وَ بَيْنكَ حِجَابٌ فاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُون . قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلهُكُمْ إِلهٌ وَاحِدٌ فاسْتَقِيموا إِلَيْه وَ اسْتَغْفِروه وَ وَيْلٌ لِلْمشْرِكِينَ . الَّذِينَ لا يؤْتونَ الزَّكَاة وَهمْ بِالْآخِرَةِ همْ كافرون . . "[3].

[1] منهج الأنبياء في الدعوة إلى اللّه فيه الحكمة و العقل ٧٢ – ٧٥. بتصرف و زيادة.

[2] سورة يوسف، الآية ١٠٨.

[3] حسن إسناده الشيخ الألباني في فقه السيرة ١٠٧.

أُخِي، فلا تطلب الإمارة، و لا تُعِن من يطلبها

عن عبد الرحمن بن سمرة – رضي اللّه عنه – قال: قال لي رسول اللّه – صلى اللّه عليه و سلم:
"يا عبد الرحمن بن سمرة ! لا تسأل الإمارة . فإنك إن أعطيتها عن مسألة وكلت إليها . وإن أعطيتها عن غير مسألة أعنت عليها"[1]

قال الحافظ: "و يُستفاد منه أن طلب ما يتعلق بالحكم مكروه، فيدخل في الإمارة: القضاء و الحسبة، و نحو ذلك، و إن حرص على ذلك لا يُعان ... و من المعلوم أن كل ولاية لا تخلو من المشقة، فمن لم يكن له من اللّه إعانة، تَوَرَّطُ فيما دخل فيه و خسر دنياه و عقباه، فمن كان ذا عقلٍ فلا يتعرض للطلب أصلا".[2]

و عن أبي موسى الأشعري – رضي اللّه عنه – قال: دخلت على النبي – صلى اللّه عليه و سلم – أنا و رجلان من بني عمّي، فقال أحد الرجلين: يا رسول اللّه أمِّرنا على بعض ما ولاّك اللّه –عز وجل – و قال الآخر مثل ذلك.
فقال: "إنّا و اللّه لا نولي على هذا العمل أحداً سأله ولا أحداً حرص عليه".
وفي لفظ عند مسلم: "ما تقول يا أبا موسى أو يا عبد اللّه بن قيس؟".
قال: فقلت: والذي بعثك بالحق ما أطلعاني على ما في أنفسهما وما شعرت أنّهما يطلبان العمل.[3]
قلت: مفهوم الحديث امتناع أبي موسى – رضي اللّه عنه – عن إعانتهم، لو علم أن مقصودَهم هو طلب الإمارة.
و فيه ردٌّ واضح على القائل: لا ندخل الانتخابات، و لكن نُعِينُ من نراه.

---

[1] صحيح البخاري ٧١٤٧.
[2] فتح الباري ١٣/١٥٥.
[3] صحيح مسلم ١٧٣٣.

قال اللّه تعالى:

"قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ"

ثانيًا: دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب نموذجًا[1]

"كلما خيمت سحب البدع، و احلولكت ظلم الجهالة، و خاض الناس لجج الباطل، أيد اللّه – تعالى – لهذه الأمة رجالا يدعون إلى اللّه تعالى على بصيرة، ينيرون الطريق، و يظهرون الحق، و يحيون السنة، و يحاربون البدعة، حتى يطهر اللّه على أيديهم البلاد، و ينقذ بدعوتهم العباد، و هذا من تمام النعمة، و سعة الفضل من اللّه تعالى على عباده."[2]

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب – رحمه اللّه تعالى – في أول كتابه ثلاثة الأصول: "اعْلَمْ رَحِمَكَ اللهُ أَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْنَا تَعَلُّمُ أَرْبَع مَسَائِلُ:
المسألة الأُولَى: الْعِلْمُ: وَهُوَ مَعْرِفَةُ اللهِ، وَمَعْرِفَةُ نَبِيِّهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ وَمَعْرِفَةُ دِينِ الإِسْلَامِ بِالأَدِلَّةِ.
المسألة الثَّانِيَةُ: الْعَمَلُ بِهِ.
المسألة الثَّالِثَةُ: الدَّعْوَةُ إِلَيْهِ.
المسألة الرَّابِعَةُ: الصَّبْرُ عَلَى الأَذَى فِيهِ. وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: بسم اللّه الرحمن الرحيم: "وَالْعَصْرِ . إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ . إِلاَّ الَّذِينَ آمَنوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَ تَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَ تَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ"[3]

و كيف لا يقول ذلك، و هو الذي كانت حياته تطبيقًا عمليًا، لهذه المسائل الأربع – نحسبه كذلك، و اللّه حسيبه. و السطور التالية خير شاهدٍ.

---

[1] جُلُّ هذا المبحث من محاضرة: "الإمام محمد بن عبد الوهاب، دعوته و سيرته"، للشيخ عبد العزيز بن عبد اللّه بن باز.

[2] الإمام محمد بن عبد الوهاب دعوته وسيرته ٢.

[3] سورة العصر.

فهو : الإمام محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي التميمي الحنبلي النجدي، وُلِد عام ١١١٥ هجريًا، و تعلم على أبيه القاضي الفقيه الكبير و العالم القدير الشيخ عبد الوهاب بن سليمان في بلدة العيينة.

و قصد بيت اللّه الحرام، وأخذ عن بعض علماء الحرم الشريف، ثم توجه إلى المدينة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، فاجتمع بعلمائها، وأقام فيها مدة، وأخذ من عالمين كبيرين مشهورين في المدينة ذلك الوقت، وهما: الشيخ عبد اللّه بن إبراهيم بن سيف النجدي، و الشيخ الكبير محمد حياة السندي.

و رحل الشيخ لطلب العلم إلى العراق فقصد البصرة واجتمع بعلمائها، وأخذ عنهم ما شاء اللّه من العلم، و أظهر الدعوة هناك إلى توحيد اللّه، و إلى السنة، وأظهر للناس أن الواجب على جميع المسلمين أن يأخذوا دينهم عن كتاب اللّه و سنة رسول اللّه – صلى اللّه عليه و سلم.

و اشتهر من مشايخه – هناك - الشيخ محمد المجموعي، و قد ثار عليه بعض علماء السوء بالبصرة و حصل عليه و على شيخه المذكور بعض الأذى، فخرج من أجل ذلك، و كان من نيته أن يقصد الشام فلم يقدر على ذلك؛ لعدم وجود النفقة الكافية، فخرج من البصرة إلى الزبير، و توجه من الزبير إلى الأحساء، و اجتمع بعلمائها، و ذاكرهم في أشياء من أصول الدين، ثم توجه إلى بلاد حريملاء التي انتقل إليها أبوه، فلما مات والده، حصل من بعض سفلة حريملاء شرٌّ عليه؛ لأنه كان آمرًا بالمعروف ناهيًا عن المنكر، و كان يحث الأمراء على تعزير المجرمين الذين يعتدون على الناس بالسلب و النهب و الإيذاء.

ثم انتقل إلى بلدة العيينة، و نزل على أميرها – إذ ذاك – عثمان بن نصار بن معمر، الذي رحب به، و قال: قم بالدعوة إلى اللّه و نحن معك و ناصروك، و أظهر له الخير، و المحبة و الموافقة على ما هو عليه.

فاشتغل الشيخ بالتعليم و الإرشاد و الدعوة إلى اللّه – عز و جل – و توجيه الناس إلى الخير، و المحبة في اللّه، رجالهم و نسائهم، و اشتهر أمره في العيينة و عظم صيته و جاء إليه الناس من القرى المجاورة.

و نصح الأمير – ولي أمر البلد – بهدم قبة منسوبة لأحد الصحابة، مبنية على أحد القبور، كما هو أمر رسول اللّه – صلى اللّه عليه و سلم، ففعل.

و لما كان قاضيًا بالعيينة، اعترفت لديه امرأة بالزنا عدة مرات، و سأل عن عقلها فقيل إنها عاقلة و لا بأس بها، فلما صممت على الاعتراف، ولم ترجع عن اعترافها، ولم تَدَّعِ إكراهًا و لا شبهًة و كانت محصنة، أمر الشيخ – رحمة اللّه عليه – بأن ترجم، فرُجمت.

و قد كان الشرك الأكبر قد نشأ في نجد و انتشر، حتى عُبدت القباب و عُبدت الأشجار، و الأحجار، وعُبد من يدعى بالولاية – و هو من المعتوهين، و اشتهر في نجد السحرة و الكهنة، و سؤالهم و تصديقهم، و اشتهر دعاء الجن، و الاستغاثة بهم، و ذبح الذبائح لهم، و ليس هناك مُنكِرٌ إلا من شاء اللّه، و غلب على الناس الإقبال على الدنيا و شهواتها، و قل القائم للّه و الناصر لدينه.

فلما رأى الشيخ الإمام هذا الشرك و ظهوره في الناس، و عدم وجود مُنكر لذلك و قائم بالدعوة إلى اللّه في ذلك شمر عن ساعد الجد وصبر على الدعوة، و جد في التعليم و التوجيه و الإرشاد و هو في العيينة، و شجعه من شجعه من

العلماء و الأعيان في داخل الجزيرة، و في خارجها، و عزم على ذلك، و استعان بربه – عز و جل – و عكف على الكتب النافعة و درسها و عكف قبل ذلك على كتاب اللّه، و كانت له اليد الطولى في تفسير كتاب اللّه، و الاستنباط منه، و عكف على سيرة الرسول – صلى اللّه عليه و سلم – و سيرة أصحابه، و جَدَّ في ذلك و تبصر فيه حتى أدرك من ذلك ما أعانه اللّه به و ثبته على الحق فشمر عن ساعد الجد، و صمم على الدعوة و على أن ينشرها بين الناس و يكاتب الأمراء والعلماء في ذلك و ليكن في ذلك ما يكون، فحقق اللّه له الآمال الطيبة، و نشر به الدعوة، و أيد به الحق، و هيأ اللّه له أنصارًا و مساعدين و أعوانا حتى ظهر دين اللّه و علت كلمة اللّه.

و جّدَّ في مكاتبة العلماء في ذلك و المذاكرة معهم، فأجاب دعوته كثيرون من علماء نجد و علماء الحرمين، و علماء اليمن، و غيرهم و كتبوا إليه بالموافقة، و خالف آخرون: بين جاهلٍ خرافي، و منتسبٍ للعلم حاسد معاند.

و لما بلغ أمر الشيخ إلى أمير الأحساء، عظم عليه، و خاف على سلطانه، و أمر أمير العيينة بإخراج الشيخ، ففعل. و تحول الشيخ إلى بلاد الدرعية، و رحب به أميرها آنذاك محمد بن سعود، و بشره بالنصرة و الأمن و المساعدة. و بايعه على دين اللّه و رسوله و على الجهاد في سبيل اللّه، و لم تزل الدرعية موضع هجرة يهاجر إليها الناس من كل مكان، و تسامع الناس بأخبار الشيخ، و دروسه في الدرعية و دعوته إلى اللّه و إرشاده إليه، فأتوا زرافات و وحدانا.

فأقام الشيخ بالدرعية معظما مؤيدا محبوبا منصورا و رتب الدروس في الدرعية: في العقائد، و في القرآن الكريم، و في التفسير، و في الفقه، و أصوله، و الحديث، و مصطلحه، و العلوم العربية، و التاريخية، و غير ذلك من العلوم

النافعة، و توافد الناس عليه من كل مكان، و تعلم الناس عليه في الدرعية الشباب و غيرهم، و رتب للناس دروسا كثيرة للعامة، و الخاصة، و نشر العلم في الدرعية و استمر على الدعوة.

ثم بدأ بالجهاد[1] و كاتب الناس إلى الدخول في هذا الميدان و إزالة الشرك الذي في بلادهم، و بدأ بأهل نجد، و كاتب أمراءها و علماءها. كاتب علماء الرياض و أميرها دهام بن دواس، كاتب علماء الخرج و أمراءها، و علماء بلاد الجنوب و القصيم و حائل و الوشم، و سدير و غير ذلك، و لم يزل يكاتبهم و يكاتب علماءهم و أمراءهم، و هكذا علماء الأحساء و علماء الحرمين الشريفين، و هكذا علماء الخارج في مصر، و الشام، و العراق، و الهند و اليمن و غير ذلك، و لم يزل يكاتب الناس و يقيم الحجج و يذكر الناس ما وقع فيه أكثر الخلق من الشرك و البدع، و اشتهر أمر الشيخ، و ظهر أمر الدعوة، و اتصلت رسائله بالعلماء في داخل الجزيرة، و في خارجها.

و واصل الشيخ دعوته إلى أن توفي الشيخ في عام ١٢٠٦، بعد أن التزم الناس بالطاعة، و دخلوا في دين اللّه، و هدموا ما عندهم من القباب، و أزالوا ما لديهم من المساجد المبنية على القبور، و حكموا الشريعة، و دانوا بها، و تركوا

[1] كان هذا الجهاد بإذن ولي الأمر، و تحت رايته، فإن أمير الدرعية محمد بن سعود قد آوى الشيخ محمد بن عبد الوهاب، و نصره، كما آوى الأنصار النبي – صلى اللّه عليه و سلم – و نصروه.
ليس كحال المخالفين لأمر الرحمن، الذين يقتلون المسلمين، و يُروعون الآمنين، و يُفزِعون الناسَ في مجامعهم ، و يؤَرِّقونَهم في مضاجعهم ، و يكدرون صفو حياتهم.
فضلا عن أن البلاد الإسلامية لا تملك إلا سكين المطبخ و عصا الراعي، في مواجهة أحدث الأسلحة.
فحالنا كحال عيسى – عليه الصلاة و السلام – عندما يوحي اللّه – عز و جل – إليه في شأن يأجوج و مأجوج: "إني قد أخرجت عبادا لي ، لا يدان لأحد بقتالهم، فحرز عبادي إلى الطور". صحيح مسلم – ٢٩٣٧.

ما كانوا عليه من تحكيم سوالف الآباء و الأجداد، و قوانينهم، و رجعوا إلى الحق. و عمرت المساجد بالصلوات، وحلقات العلم، وأديت الزكوات، وصام الناس رمضان، كما شرع اللّه – عز و جل – و أمر بالمعروف، و نهي عن المنكر، و ساد الأمن في الأمصار، و القرى، و الطرق، و البوادي، و وقف البادية عند حدهم، و دخلوا في دين اللّه و قبلوا الحق، و نشر الشيخ فيهم الدعوة. و أرسل الشيخ إليهم المرشدين، و الدعاة في الصحراء و البوادي، كما أرسل المعلمين، و المرشدين، و القضاة إلى البلدان و القرى، و عم هذا الخير العظيم و الهدى المستبين نجدا كلها و انتشر فيها الحق، و ظهر فيها دين اللّه.

علمٌ، و عملٌ، و تعليمٌ، و صبرٌ، سطورٌ مضيئة ضرب بها الشيخ خير مثل، و صَدَّقَ القولُ العمل، فقد قال الرجل، و مثل ما قال فعل، فلُنِعْمَ ما قال، و يا حُسْنَ ما فعل، فلقد اهتدى و امتثل، بهدي الأنبياء و الرسل، عليهم الصلاة و السلام، و هذا هو الأمل.

أخي، فعليك بالأمر العتيق، و دعك من بنيات الطريق، و إن تزخرفت و كان لها بريق، و تَمَسَّحت من الحق بغشاءٍ رقيق.

قـال رسـول اللّه – صـلـى اللّه عـلـيـه و سـلـم:
"مـن أحـدث في أمـرنـا هـذا مـا لـيـس مـنـه فـهـو رد".

ثالثًا: المنهج الباطل في الدعوة إلى اللّه

لم يُعرف عن السلف أنهم كانوا يسعون لإسقاط دولة، و إقامة أخرى، و إنما كان همهم العلم و التعليم، و نشر السنة، و الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر، سواء كانت الدولة لهم، أم لغيرهم؛ فالمسلم ينال الأجر بمجرد الدلالة على الخير.

و لكن هناك من لا يصبر على طريق الأنبياء الطويل الذين وجدوا في أقوامهم الفساد السياسي و الاجتماعي و الاقتصادي، و لكن دعوتهم كانت إلى التوحيد ابتداءً، الطريق الذي لبث فيه نوح ألف سنةٍ إلا خمسين عامًا، و ما آمن معه إلا قليل.

١- "إن تحكيم الشريعة و إقامة الحدود و قيام الدولة الإسلامية واجتناب المحرمات و فعل الواجبات كل هذه الأمور من حقوق التوحيد ومكملاته و هي تابعة له فكيف يعتنى بالتابع ويهمل الأصل؟"[1]
إن هناك الكثير من الناس جاهلون بالعقيدة الصحيحة، و الشريعة لا تقوم إلا على عقيدة، فكيف يستقيم الظل و العود أعوج؟!

٢- طلب الإمارة، أو إعانة طالبها مخالف لما جاء عن المعصوم – صلى اللّه عليه و سلم. و قد سبق.

٣- إن "اللّه قد خلق الكون و نظَّمه تنظيماً كونياً و شرعياً، فجعل للكون سنناً يسير في نطاقها لو اختلت هذه السنن الكونيَّة لفسد هذا الكون، فوضع للسموات و الأرض و الأفلاك و الكواكب و الشمس و

[1] منهج الأنبياء في الدعوة إلى اللّه فيه الحكمة و العقل ١٩.

القمر سناناً لو اختلت هذه السنن لانتهى وجود هذا الكون ... و في عالم الشرائع لا تقوم الشريعة إلا على عقيدة، فلو خلت تلك الشريعة من العقيدة، فسدت و ما بقيت شريعة صحيحة.

فمثلاً شريعة إبراهيم -عليه الصلاة والسلام- بقيت في الأمَّة العربيَّة دهوراً فلما أدخل عمرو بن لحي الخزاعي فيها الشرك أصبحت شريعة وثنيَّة، فسدت وتغيرت حقيقتها؛ لأنَّها فقدت عقيدة التوحيد التي قامت عليها والتي كانت أصلها الأصيل."[1]

٤- و في خلال ذلك، تحدث المظاهرات، و الاحتجاجات، و الاعتصامات، مع أن السنة صريحةٌ في منعها. قال رسول اللّه – صلى اللّه عليه و سلم: "من أراد أن ينصح لذي سلطان فلا يبده علانية و لكن يأخذ بيده فيخلو به فإن قبل منه فذاك و إلا كان قد أدى الذي عليه"[2]، فضلا عن الأحاديث الثابتة في السمع و الطاعة لولي الأمر، و إن ضرب ظهرك و أخذ مالك، و إن عبدٌ حبشيٌ، و إذا كان في ولاة الأمور أثرة علينا، نؤدي الواجبات التي علينا، و نسأل اللّه الذي لنا.

٥- "الانتخابات هي من سنن غير المسلمين، و الأخذ بها تشبه بهم، و هو حرام.

٦- الانتخابات مبنية على قاعدة "حكم الشعب بالشعب"، و هي قاعدة باطلة مناقضة للشرع، فالحكم للّه وحده، و ليس للشعب أو للأغلبية.

٧- الانتخابات تزكي النعرات الديموقراطية و الاشتراكية و القومية و

[1] منهج الأنبياء في الدعوة إلى اللّه فيه الحكمة و العقل ٨٣، ٨٤.
[2] صحح إسناده الشيخ الألباني في تخريج كتاب السنة ١٠٩٦.

الوطنية."[1]

ما هكذا عَلَّمنا رسول اللّه

إذا كنا نريد حكم اللّه ؟ فنحن مِمَنْ أُمَرَه اللّه و نهاه ، فلا نكن من سعى في رداه ، و اتبع من الطريق أرداه ، و ترك من السبيل أهناه ، و ما المرء إلا حيث يجعل نفسه، و ذو الحزم إن أبصر ما يخشى توقاه.

[1] بيان تحريم الانتخابات و حكم انتخاب الأصلح في المدلهمات.. بتصرف.

عن أبي بن كعب، أنه قال:
"عليكم بالسبيل و السنة ، فإنه ما على الأرض من عبد على السبيل و السنة ذكر اللّه ففاضت عيناه من خشية ربه فيعذبه اللّه أبدا ، و ما على الأرض من عبد على السبيل و السنة ذكر اللّه في نفسه فاقشعر جلده من خشية اللّه إلا كان مثله كمثل شجرة قد يبس ورقها فهي كذلك إذا أصابتها ريح شديدة فتحات عنها ورقها إلا حط اللّه عنه خطاياه ، كما تحات عن تلك الشجرة ورقها ، و إن اقتصادا في سبيل و سنة خير من اجتهاد في خلاف سبيل و سنة ، فانظروا أن يكون عملكم إن كان اجتهادا أو اقتصادا أن يكون على منهاج الأنبياء و سنتهم"

رابعًا: الجزائر نموذجًا

ما حدث في الجزائر – و غيرها – عبرة لكل معتبر، يحكيها شاهدٌ من أهلها، هو الشيخ عبد المالك رمضاني، فيقول – تحت عنوان "مختصر تاريخ الدعوة الحديث في الجزائر"[1]:

" عَرَفُت الدعوةُ السلفية نشاطها الكبير في الجزائر أيام الاستعمار الفرنسي على يد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي كان يرأسها الشيخ عبد الحميد ابن باديس ـ رحمه اللّه ـ و كان من علمائها المبرِّزين: الشيخ الطيب العقبي، و الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، و الشيخ مبارك الميلي، و الشيخ العربي التبسي، و غيرهم ... و توفي جلُّهم ـ رحمهم اللّه ـ أيام الاستعمار، و من بقي منهم فقد اخسر نشاطه السلفي جدا من يوم أن حُلَّت الجمعية بعد الاستقلال، و أضحت الدعوة لدى الإخوان المسلمين موضع استغلال، على حين جهل الأمة، وقلة المعارض من أهل البدعة و أهل السنة. مع العلم أنه لتصلب الجزائريين في دينهم لم ينجح فيهم التهويد و لا التنصير، و لا كان للقاديانية وجود و لا لجماعة الهجرة و التكفير، و لا سُمع فيها بدعوة رافضية، بل كل ما هنالك دير تصوف و صوامع إباضية.

بدأت الدعوة ساذجة على نشاط ملحوظ من أتباع فكر مالك بن نبي ـ رحمه اللّه ـ يَرون أن العمل الأكبر يكمن في مسابقة الحضارة، ثم لأسباب الإمارة انقسم الإخوان المسلمون إلى إخوان عالميين و آخرين إقليميين اشتهروا باسم (الجُزْأرة)[2]، بينهم بأس شديد و تبديع، ثم عن العالميين انشقت جماعة

---

[1] و الحواشي في هذا النقل للشيخ عبد المالك رمضاني- أيضًا.

([2]) **(الجُزْأرة)**: عَلَم على المحلِّيين من (الإخوان المسلمين)، انشقوا عنهم بسبب أن هؤلاء يرون عالمية الإمارة، و هم يرون جَزْأرة الدعوة أي أنها جزائرية العمل و الإمارة، و عقيدتهم أشعرية يدافعون عنها بقوة، و هم أشد تعصبا لها من تميّع الإخوان العالميين، و قد كان لهم مجلة "النفير" و غيرها، بل لهم اليوم جريدة "العقيدة" التي وقَّفت أقلامها لحرب العقيدة السلفية بلا هوادة، و

النهضة و هي أبعدها عن التمييع، و أقربها عناية بالتربية، لكن بلا تصحيح و لا تصفية، و ظهرت دعوة جماعة التبليغ، على ضعف حيث برَّز العلم، و قوة حيث ضعف، إلا أن انتشارها ليس بذاك. و لُمَّا كان جميع الإخوان بعقد السياسة يتناكحون، و بماء التصويت يتناسلون، و في علم الكتاب و السنة يتزاهدون، وُلِد لهم مولود عاقّ، سمَّوه بالهجرة و التكفير كيلا يكون بينه و بين نسبهم إلحاق، و ادَّعوا أنه خرِّيج السلفية و أهل الأثر، و لكن الحق أن "الولد للفراش و للعاهِر الحُجَر". و قد شهد العدول يوم كان يُلقَم بأيديهم ثدي التكفير من صحف سيد قطب، كما قيل:

فإن لم تكُنْهُ أو يكُنْها فإنّه أخوها غُذُتْهُ أمُه بلبانها

و هم جميعا و إن كانوا لا يَرضَون بحسن البنّا بديلاً، فلا يقبلون في سيد قطب جرحاً و لا تعديلاً. أما تفرقهم فنتيجة حتمية لمن غاب عنده أصل (التصفية و التربية).

عاش هؤلاء آنذاك في صراع ضائع مع الشيوعية، أمضى سلاحهم: المسرحيات و الأناشيد و رياضة ركضٍ كركض الوحشي في البرية.

مذهبهم الفقهي مالكي على احتراق شديد في التعصب له، و هم كـ (الإخوان) في تهميش السّنة و الاستخفاف بدعاتها، و التساهل مع البدعة و أهلها إلاّ من خالفهم في الوجهة السياسيّة، و تصوفهم كتصوف سعيد حوى، صاحب الكتاب المشئوم "تربيتنا الرّوحية" و غيره من الكتب الغوية. و هم ـ مع تظاهرهم بالسماحة مع المخالف ـ من أسرع الناس لجوءاً إلى العنف مع المخالف من المسلمين و غيرهم؛ إذ يبدؤون بالطعن في نيّته للوصول إلى إبعاده من المجتمع، فيقولون: هو عميل أو يُلصقونه بذيل السلطان! فإن أعياهم ذلك و كان للمخالف لسان صدق في الناس، قذفوه بأيّ سيِّئة خلقية من الفواحش المنَفِّرة! فإن أعياهم ذلك أغرَوا به السلطة التي يحاربونها في الخفاء! فإن أعياهم ذلك سلَّطوا عليه سفهاءهم بالضرب و التنكيل ...! هذا و لهم تأييد قويّ للشيعة الإيرانية، و لئن زعموا أنّه مجرّد تأييد سياسيّ، و ليس تأييداً عقديّاً! قلنا: **هو عين التفريق بين الدّين و الدّولة**؛ و هل الدين إلا العقيدة؟! و هل السياسة الرشيدة إلا ثمرة العقيدة السليمة؟! قال ابن القيم: "**و** تقسيم بعضهم طرق الحكم إلى شريعة و سياسة كتقسيم غيرهم الدين إلى شريعة و حقيقة، و كتقسيم آخرين الدين إلى عقل و نقل، و كل ذلك تقسيم باطل، بل السياسة و الحقيقة و الطريقة و العقل كل ذلك ينقسم إلى قسمين: صحيح و فاسد ..." (إعلام الموقعين ٤/٣٧٥).

و لغياب أصل الرد على المخالف، مع ظهور قرن الشيطان في إيران و تتابع التأييد المجازف، تُلُقِّي هؤلاء – عن بكرة أبيهم – دعوة الخميني بكل ترحاب و تحنان، و لغياب أصل السلفية عندهم لم يشعروا بأدنى إثم و هم يجتمعون بمن يكيل لأصحاب رسول اللّه – صلى اللّه عليه و سلم – أفظع السباب و أقذع الشنآن، فما أوسع صدورهم لكل خلاف عقدي ما لم يكن سَلَفِيًّا! و ما أضيقها على كل خلاف حزبي خاصة إذا كان النقد سَلَفِيًّا! و تراهم مَن كل حدب ينسلون، و إلى محاضرات الرافضي رشيد بن عيسى يتنادون، في عقر دارهم و بدعوة منهم، لا يفتر عن التفكه بأعراض السلف الصالح و هم يضحكون! "و سَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللهُ بِما كانُوا يَصْنَعُون".

ثم لم يلبثوا مليًّا حتى نجم التشيّع بعد أفول، و أخذ بعض أفذاذهم للرفض يتشيَّعون، عن اعتقاد جازم و حماس قوي، فتدارك الأمرَ الإقليميُّ محمد سعيد الونّاس، لكن بصوت خفيّ و علم غير حفيّ؛ لأنهم لا يزالون يُلَقَّنون و يلقِّنون: لا تُظهروا الخلاف بينكم؛ فإن العدوّ متربِّص بكم!! و كانوا من قبل هذا يَرمون السلفيين – إذا حذَّروهم من الشيعة الروافض – بتفريق الصف!! و ايم اللّه! إنه لبسبب تأييد هؤلاء لهم سياسياً صار للروافض في الجزائر وجود، و إلا فمن الذي فتح لهم الباب غيرُ ذلك الحزبي، و كل حزبيّ للمبتدعة وَدود! فهل يَرجعون بنا إلى تشيُّع بني عبيد؟ و ليس فيهم من يقطع دابرهم كالقيروانيّ ابن أبي زيد؟ أم لم يعرفوا فقيههم هذا إلا بالمالكي صاحب الرسالة؟ فلِمَ يكتمون حربه للتشيّع و أشاعرة الضلالة؟!

و لما كان العمل السياسي طاغياً على هذه الأحزاب، لم تجد العقيدة بها في دعوتهم محلاً من الإعراب، و من كان يعلِّمها يومذاك – كعلي بن حاج – كان يعلِّمها على الطريقة الأشعرية، و على رِسْلكم قبل أن تجيء قلوبكم ناكرة؛ فإن كراريس تلاميذه الأولين شاهدة سافرة.

و قبيل سنة (١٤٠٠هـ)، تعلَّم شيئا من السلفية، و دعا إليها على تقصير ملحوظ في جنب العقيدة، و كان بينه و بين عباسي مدني ردود عنيدة، أوشكت

على تخبيب السنة للشباب لولا أن أذهبَ بركتها تدخّلاته السياسية، منها: دخوله في الصراع المستمر في الجامعات بين الطلبة الإسلاميين و الشيوعيين.

و في السنة التي بعدها نشب اقتتال بين هؤلاء، حمل على إثره مصطفى أبو يعلي و جماعته الإسلامية السلاح، و ورَّطوا معهم علي بن حاج مع أنه كان يتظاهر بنهيهم عن مثل هذا الكفاح. و قامت هذه الجماعات كلها – و لم تبرز الفُرقة بينها بعدُ – بمظاهرة في الجامعة المركزية بالجزائر العاصمة، يطالِبون فيها بتحكيم الشريعة، و كان – يومها – علي بن حاج يقول: "أعطَوني دليلاً واحداً من الكتاب أو السنة على مشروعية المظاهرات و أنا معكم"!! لكن مشكلته أنه إذا خطب أظهر الوفاق للمتظاهرين، و اللّه أعلم بما هو في قلبه دفين.

من أجل ذلك ضيَّق عليه النظام، حتى خطب في الناس قائلا: "لقد خُيِّرْتُ بين ترك الخطابة أو السجن، و أنا أختار ما اختار يوسف – عليه الصلاة و السلام – حين قال: "رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ"!! و كانت هذه الدروشة مضرب المثل في الشجاعة لدى الرعاع، إلا أن أحد الفطناء اعترض عليه بعد ذلك قائلا: "لقد تلوْتَ في خطبتك آية في غير محلها؛ و ذلك أن يوسف – عليه الصلاة و السلام – قال ذلك حين خُيِّر بين الفاحشة و السجن، أما أنت فخُيِّرتَ بين ترك وسيلة من وسائل الدعوة و بين السجن، و قد علَّمتَنا مرارا أن الحكومة لو منعتك من كلمة المسجد، فلن تَحُول بينك و بين الدعوة، فلك الكلمة في المقهى و الوليمة و المأتم و غيرها، فلا أظنك بهذا الخطأ تدخل السجن إلا عقوبة من اللّه .. ".

و أُدخل السجن هو وكثير من الدعاة، و أُرْغم بعضهم على الإقامة الجبرية، و ضُيِّق على الدعوة بعدما كانت في غنىً عن ذلك.

و لا بدّ من التذكير ههنا أن عباسي مدني من غلاة حزب (الجُزْأرة)! و هو كذلك إلى الآن! و إنما الذي جمعه بعلي بن حاج هو أمران:

الأوّل: أنّ المنَظِّرين الحقيقيّين للجزأرة منعوه من القيادة بعد نازلة الجامعة

المركزية آنفة الذكر؛ يوم أن أجمعوا في السجن على أنه ـ بحمقه و تسرّعه ـ أُوردهم شرّ الموارد!! فنكايةً منه بهم انضمّ إلى ابن حاج.

الثّاني: النزعة السياسية الغالبة عليهما لم تُبقِ للولاء العقديّ محلاًّ!

المرحلة الذهَبيَّة للدَعْوَة

أقول بصراحة: إن أزهى أيام الدعوة التي عرفتُها عندنا هي السنوات الخمس التي تلت هذه النازلة، و قد كانت قبلها الجماعاتُ آنفة الذكر تجمع غثاءً بلا علم و لا تربية، ثم تفرِّقه؛ إما أن تفرِّقه هي بتحزباتها، و إما أن تـزُجَّ به في مغامرات خطيرة لتقدِّمه في الأخير للأنظمة قرابين سياسية، و لا يَرْعَوُون! و كأن دعوتهم لا تزيد على تجميع هذا الغثاء السياسي، و بطن السياسة بأضعاف أمثاله وَلود، و بعد كل عملية إجهاض يعلّق بعضهم لبعض وِسام المجاهد و يُنادَى عليه بالخلود!!

لكن بعد أن ولَّت الدعوات السياسية إلى الخسار، تعلَّمنا على أيدي طلبة العلم علماً جمًّا، و كثرت المساجد و ازدحمت بأهلها، و كادت العقيدة السلفية تتبوَّأ من الديار الجزائرية مبوَّأ صدق، و أُخفيت مظاهر الشرك في كثير من المدن، و عَضَّت الطرقية الأنامل من الغيظ، حتى رأينا منهم مَن لا يلبَس عباءته إلا متخفيًّا في زاويته، فإذا خرج منها خلعها! و طُمِس على كثير من البدع، بل ربما دخلتَ مسجدا فلم تصادف فيه بدعة، لا في بنائه، و لا في تزويقه، و لا في صلاة إمامه، و تعلَّم الناس كثيرا من الآداب الإسلامية التي شحَّت بها التخطيطات السياسية! و عظُمت ثقة الناس بِدُعَاتِهِم، الذين كان الواحد منهم ينتقل من قرية إلى قرية في أنصاف الليالي لا يخاف إلا الذئب على نفسه، بل كان ينتقل بين الثكنات العسكرية يُعلّم الهدى حتى انتشر الوعي في أوساطها.

و السر في ذلك هو أن هذه المرحلة كانت أكثر الأزمنة نشراً للعلم الشرعي منذ الاستقلال، و من عجيب الموافقات أن هذا العمل قد اجتمع عليه ثلاث فئات هي:

١ ـ السلفية: لأن العلم أصل دعوتها، و نشر كتب السنة أكبر نَشْوَتها، خاصة من قِبل بعض خرِّيجي الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، الذين لم

تَغْتَل عقولُهم الدعواتُ الحزبية، كما كان لرسائل الدعوة التي يرجع بها المعتمرون أثر بالغ في نشر العلم الصحيح؛ لأن جلّها في أبواب العقيدة و أنْعِم بها عقيدة! و أعظُم منه قيام الملحق الثقافي السعودي بتوزيع "مجموع فتاوى ابن تيمية" في الأوساط العلمية عن طريق بعض الفضلاء بوزارة الشئون الدينية، و استفاد الأئمة منه استفادة عظيمة لولا أن منَعَتْه بعدها يد طُرُقِيَّة مذهبية شقيَّة.

و أعظُم من هذا كله أن الديار الجزائرية حظيَت بعناية أكبر محدِّثي هذا العصر، ألا و هو الشيخ محمد ناصر الدين الألباني ـ حفظه اللّه ـ؛ فقد أخبر الثقة أنه حضر عنده في بيته، فجاءته خمسون مكالمة هاتفية من الجزائر في مجلس واحد! فكان ـ حفظه اللّه ـ غرسه بالأردن، وثمار دعوته ممتدة إلى الجزائر، فسبحان اللّه الهادي! أقول هذا لأن الكثير ظنّ أن سلفية الجزائر هي مولود (الجبهة الإسلامية للإنقاذ)، كلا! فإنه لا وجود لهذه الجبهة يومئذ، بل كان علي بن حاج في السجن الأول نسياً منسيًّا.

٢ ـ جلّ الجماعات الأخرى التي سبق الحديث عنها: و هي و إن كانت لاتؤَصِّل دعوتها إلا على السياسة، فقد أرغمتها سياسة الحديد و النار ـ بعد نازلة الجامعة ـ على احتراف العلم و ترك السياسة إلا في الظلام. و قد كنتُ انبهرتُ يوم دخلت مساجد بعض الجامعات، فرأيتُ فيها لأول مرة لوحة منصوبة على الجدار، كُتِب عليها في يوم: أحكام التجويد، و في آخر: فقه، و في ثالث: علوم القرآن ... الخ، مع أنني لم أكن أسمع فيها من قبلُ إلا قال المودودي، و قال سيد قطب، و قال سعيد حوَّى ... و أقرب علم إلى الشرع عرفتُه عنهم هو السيرة النبوية، لكن دراستهم لها كانت لأغراض سياسية، حتى لكأنهم لا يعرفون منها إلا الغزوات! ولذلك فإن أشد ما يكرهون عند تدريسها هو أن يشوَّش عليهم بدراسة أسانيد الروايات، خاصة إذا كانت تُفُوِّت عليهم استنباطات حركية!! أو توقفهم عند أحكام فقهية قد تقيِّد حريَّتهم الحركية أو تأخذ من وقتهم، و القطار السياسي لا (يبرمج) لتَوقُّفه مثل هذه المحطات، إنه لا يرضى إلا بمحطة البرلمان! المهم أنه مَهْما تكن نيَّتهم في تحوُّلهم

العلمي، فقد كانت مرحلة أفضل من سابقتها[1].

٣ـ وافق هذا إقامةُ الدولة معارضَ كبيرة للكتاب، مع إقبال على المؤلفات الإسلامية يفوق الوصف، و ربما بيع ألف ألف كتاب في أسبوعين فقط.

و ظهرت ثمرة الدعوة العلمية في سرعة فائقة، و كانت الصدارة فيها للدعوة السلفية التي لقيت في العاصمة حفاوة رائقة، و بدأت تبسط أجنحتها خارجها على الرغم من قلة دعاتها و كثرة عِداتها، و قلة مراجعها العلمية، و كثرة محاربيها بالمؤتمرات الرسمية، لكن مساجدها هي المطروقة، و نشراتها هي الموثوقة، فقد كان الطلبة يحضرون دروسها بانتظام و مواظبة، و ربما بلغ عددهم الألفين في المجلس الواحد، ليس في الجمعة، بل في درس الليل، أما الجمعة فيسافُر لها من مئات الأميال، و ظهر من الشباب السلفي مَن عُلّقت عليه آمال و آمال: في شغفه العلمي، و التزامه العملي، و اشتهر بحفظ القرآن، حتى كان مَوْئل الباحثين عن أئمة رمضان، مع التنبيه على أنه الوقت الذي أفلست فيه الجماعات الأخرى، و كل من أضحى سلفياً من رموزهم ففي هذه المدة القصيرة، و فيها برز انقسام الإخوان جلاء إلى الكتل الثلاثة التي ذكرتها في أول هذا الفصل.

و إذا رأيتني هنا أخى باللوم الشديد على بعض الدعاة و أغضّ الطرف عن حسناتهم؛ فلأنني لا أرى من تسبَّب في وَأْد هذا الخير العظيم إلا جانيًا على الإسلام و المسلمين أعظم جناية، و لو رأيتَ ما رأيتُ لقلتَ: ليس الخبر كالمعاينة.

و من بركة العلم أن كثيرا من القوانين الوضعية أخذ في الخسار سريع، على الرغم من ندرة التعرض لنقضها، فقد أدرك الناس - بتعلم السنة -

---

([1]) و إنما اخترت التمثيل بمساجد الجامعات؛ لأنها عُشّ الإخوان و النهضويين و الإقليميين، لا يسمحون فيها لغيرهم بنصف كلمة و لو كانت تلاوة إمام في صلاة سريّة! و هم يُرَكِّزون على الجامعات لظنهم أن الدعوة تنتصر بالماديات و الشهادات لا بالمستضعَفين الذين قال فيهم رسول اللّه- صلى اللّه عليه و سلم: "**و هل تُنصَرون و تُرزَقون إلا بضعفائكم**" رواه البخاري.

مناهضتها للشرع، حتى الإداريّ الذي يحفظها أضحى لا يعرفها إلا حِبرا على ورق؛ لأنه يسمع في مسجده أو في مكتبه ما يُضْعف قناعته بها. و أعرف من هدم ستين قبّة في منطقة واحدة من الغرب الجزائري، و وجد من المسئولين من يدعمه على الرغم من إرجاف الصوفية القبوريين، و أضحت المحافظة على الصلوات في العمل لا تقبل الجدل، بل فُرض القانونُ بناءَ مسجد في كل مؤسسة، وكاد يُقضى على مشكلة الصيام بالحساب، بل قُضي عليها لولا تقصير بعض الثقات الموكّلين بترقّب الهلال، كما قلّت بيوت الفساد و الخمارات و عوقب المفطر في رمضان بلا عذر عقوبة رسمية، بل لقد نوقش في البرلمان لأول مرة بشكل مفتوح: منع الخمور، و رياضة المرأة، وغيرها من القضايا وفق الأحكام الشرعية.

أما المظاهر الإسلامية كالجلباب للمرأة و الزي الإسلامي للرجل، فلم تعُد محل نقاش، حتى اللحية التي يمنعها القانون العسكري على الجنود، قد رُئِيَ منهم أنفسهم من يوَفّرها، و حظِيَ ذوو المظاهر الإسلامية بتوقير كبير لدى الناس.

و أما من الناحية الأمنية فقد كانت الجزائر من آمَن بلاد اللّه؛ و قد كان الواحد منا يمكث سنوات متتابعات لا يَحمل معه أوراقه الثبوتية! و كانت الشُّرَط نادراً ما يحملون معهم السلاح، بل ذُكِر لي أن بعضهم كان يضع في حزامه خشبةً تُشبِه المسدَّس بَدَله!

أكتب هذا تذكيراً بأصل (نيل السؤدد بالعلم)، ليَقْصُر الدعاة من زهدهم في نشر العلم الصحيح؛ لأنهم إن لم يَحْرِموا الناس من بركته، و ظهر في الأمة الإخلاص للّه في العمل به، غيَّر اللّه ما بهم من بأس. و إنما عربون الفتنة في انصراف العلماء عن تعليم أمتهم الكتاب و السنة أي العلم الذي يعني الجميع، إلى الجهد الضائع في السياسات العصرية التي لا تعني إلا فئة محصورة على أكبر تقدير، وهذا خلاف سيرة النبي – صلى اللّه عليه و سلم، فعن جابر قال: مكث رسول اللّه – صلى اللّه عليه و سلم – بمكة عشر سنين، يتبع الناس بعكاظ و مجنة، و في المواسم بمنى يقول: ((من يُؤويني؟ من

ينصرني حتى أبَلِّغ رسالة ربي و له الجنة؟))، حتى إن الرجل ليخرج من اليمن أو من مضر ـ كذا قال ـ فيأتيه قومه فيقولون: "احذر غلام قريش لا يفتنك"، و يمشي بين رحالهم و هم يشيرون إليه بالأصابع، حتى بعثنا اللّه إليه من يثرب، فآويْناه و صدَّقناه، فيخرج الرجل منا فيؤمن، ويُقرئه القرآن، فينقلب إلى أهله فيُسلِمون بإسلامه، حتى لم يَبق دار من دور الأنصار إلا و فيها من المسلمين يُظهِرون الإسلام، ثم ائتمروا جميعا، فقلنا: "حتى متى نترك رسول اللّه –صلى اللّه عليه وسلم– يُطرَد في جبال مكة و يخاف؟ "، فرحل إليه منا سبعون رجلا حتى قدِموا عليه في الموسم، فواعدناه شعب العقبة، فاجتمعنا عليه من رجل ورجلين حتى تَوافينا، فقلنا: يا رسول اللّه! نبايعك؟ قال: "تبايعوني على السمع و الطاعة في النشاط و الكسل، و النفقة في العسر و اليسر، و على الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر، و أن تقولوا في اللّه، لا تخافون في اللّه لومة لائم، و على أن تنصروني، فتمنعوني إذا قدمت عليكم مما تمنعون منه أنفسكم و أزواجكم و أبناءكم و لكم الجنة ... "[1].

من مظاهر رفع اللّه لأمة العلم أن الشيوعيين – الذين كانوا يحاولون التسلّل في الدولة التي كانت لهم بالمرصاد آنذاك – قلُّوا بصفة مدهشة! و اعتزلهم الناس، إلا أنهم لم ييْأسوا، فحاولوا بكل وسيلة ضرب الإسلام، فلم يجدوا أنفع لهم من استفزاز شخصية إسلامية ثورية، يستطيعون التحكم فيها بالتهييج السياسي، و يبدو أنهم لم يجدوا أحسن من علي بن حاج في شبابه و قوة نشاطه، و سحر بيانه و شدة نقمة سجين على نظامه، فأُخرج من السجن قبل انتهاء مدته، ثم هُيِّئَت له ثورة شعبية! عُرفت بثورة (٥ أكتوبر ١٩٨٨م)، و زُعِم أنها شعبية شعبية!! و زُعِم أن أمن الدولة مُنِع من التدخل!! و قُرْقِر في أذن علي بن حاج أن (الشعب) ينتظر كلمة المسجد!! فجعل يقذف بلسانه ذات اليمين و ذات الشمال، و كان جلّ حديثه بل قُلْ كل حديثه عن السجن و الحكومة، فنصح له الدعاة السلفيون بل و غيرهم لكن بلا جدوى. ثم نُصِب له الفخّ السياسي: التعددية الحزبية، و قيل للناس هل أنتم متحزِّبون؟! لعلنا نتَّبع الكثرة إن كانوا هم الغالبين؟! فاستجاب لهم أصحاب الوعي

([1]) رواه أحمد و البيهقي و الحاكم و هو صحيح كما في " الصحيحة" (٦٣) للألباني.

السياسي عن بكرة أبيهم!! مِن الجماعات الإسلامية التي هي على مستوى تحديات العصر!!! لأنهم يكثرون عند الطمع، و يقلُّون عند الفزع، و (اليد الشعبية!) تتصيَّدهم حزباً حزباً، و خَطُبَ العدوُّ دعاةُ الحماسة، و تَمَّ النكاح حتى تخلَّقُت الحزبية في ظلمات ثلاث: ظلمة الجهل بالشريعة، و ظلمة إغلاق العقل عند شباب حديد بالطبيعة، و ظلمة الاستفزاز الخارجي الذي لا يألوهم خبالاً و لا مكرًا و لا خديعة! و كُوِّن علي بن حاج حزبه في ليل من السياسة غاسق، و سمّوه: (جبهة الإنقاذ الإسلامية)، و من يومها و الجزائر تستغيث: هل من منقذ؟!

حقيقةً! إنّ فتنة هؤلاء الخطباء في قومهم أعظم فتنة؛ لأنهم ملُقِّحوها! و يا عجباً! كيف لا يُقلَّدون عارها و قد أضرموا نارها؟! و هم أدوات في أيدي عدوّهم يحرِّكها كيف يشاء، قال خبير الفتن حذيفة بن اليمان – رضي اللّه عنه: "إنّ الفتنة وُكِلت بثلاث: بالحادّ النحرير الذي لا يرتفع له شيء إلا قمعه بالسيف، و بالخطيب الذي يدعو إليها، و بالسيِّد؛ فأما هذان فتبطحهما لوجوههما، وأما السيّد فتبحثه حتى تبلو ما عنده"[1].

و طبيعة التحزب تغنيك عما يتبعها من عنف، كانت تُستدرَج إليه الجبهة في سرعة جعلت (الأحزاب الإسلامية) الأخرى مقبوضة اليد، توجِس من التحزب خيفة، و لكن ما دام لا بد – عندهم – من البديل و لو لم يكن مشروعاً، فقد أنشأوا لهم: (رابطة الدعوة الإسلامية)، لتكون لها الوصاية الدعوية على غيرهم، و أوغلوا فيها عباسي مدني و علي بن حاج ليكونوا تحت عينهم، و تَوَّجوا الإقليمي الشيخ أحمد سحنون كرئيس شرفي، و الرئاسة الحقيقية ترجع إلى حِرَفيِّي الاحتيال في حلبة النطاح الحزبي: إما إقليمي، أو إخواني، أو نهضوي، أو رافضي ...! و ما سُمِّيَت رابطة إلا لأنهم يربطون عقدها، و كلٌّ فيها بسحر السياسة نافث، فنعوذ باللّه من شر النفاثات في

([1]) رواه نعيم بن حماد في ((الفتن)) (٣٥٢) و ابن أبي شيبة (١٥/١٧ـ١٨) و أحمد في ((الزهد)) (١٣٦/٢) و أبو نعيم في ((الحلية)) (٢٧٤/١) و اللفظ له و أبو عمرو الداني في ((السنن الواردة في الفتن)) (٢٨).

العقد.

لكن رُقيتها لم تفلح طويلا في علي بن حاج رغم اجتماع النافخين فيه، فكان كلما أراد أن يخالفهم فعل و لم يبالِ بمخالفيه، من أجل ذلك استشارني بعض الإقليميين في أن يتَخلّلوا صفوف جبهة الإنقاذ، فقلت: ولِمَ؟ قال: " لنُخَفِّف من جنون الرجلين: مدني وابن حاج! "، فقلت: "إذن سيُوَرِّطانكم فيما تكرَهون"، فلم يقبلوا النصيحة، و انخرط كبيرهم محمد سعيد الوتّاس، و زعموا: "أنه لا يزيد على وظيفة الحماية المدنية "كُلَّمَا أَوْقدوا ناراً لِلْحَرْبِ أطْفأهَا اللّه" بأيدينا!"، و اتَّخذ الجميعُ من السياسة جارحة صَيدٍ يَجْمعون بها الرغوة، و اتَّخذها أعداؤهم آلة كيد يَجهضون بها الدعوة، و لِذلك لم يمض إلا زمن يسير، و إذا بالجميع جماعة ألفتن يُكوَى، و اللّه يهديهم.

أما الإخوان العالميون فقد أظهروا بقوة رفضهم للتحزب، و تظاهروا بسلوك طريق التربية، و أعلن ذلك أميرهم محفوظ نحناح في الجرائد بلا خفاء، و هم يترقَّبون يوم مذبحة الجبهة ليقال لهم: يا لكم من حكماء!، و لكن ذلك لم يحصل، بل هالهم أن نجحت الجبهة في الانتخابات البلدية و امتدّ سلطانها، و ظنوا المُلْك غنيمة باردة، فلم يلبثوا إلا قليلا حتى قصروا عمر الحكمة و خلعوا برقع التربية، و قالوا: "السياسة من الدين و لا بد من الحزبية!"، لكن قطار الجبهة حشد الحشود و لم يُبقِ لهم من الأصوات ظُهراً مركوبا إلى الحكم إلا نحّة شيوعية و وطنية، فكانوا كالشاة العائرة بين غنمين، و أخيرا تحالفوا مع الأحزاب الشيوعية و الوطنية! نعوذ باللّه من الحور بعد الكور.

و في آخر سنة (١٤١١هـ) غيَّر النظام الحاكم قانون الانتخابات، و رأت جبهة الإنقاذ أنها مكيدة مدبَّرة، فدعت إلى إضراب عام عن العمل، و اعتصموا ببعض الساحات العامة، و بدأ الجدّ يظهر بعد هذه (المسرحية)، فمِن الجبهة عنف اللسان، و مِن مخالفيهم عنف السِّنان. و بينما أنا في بيتي في حيّ يقال له: جسر قسنطينة، إذ سمعت صارخا من مكبِّر صوت المسجد ينَدِّد بفعل بعض عسكر الدولة، لكنه أرشد إلى الصبر، فحمدت اللّه. و لم ألبث إلا قليلا فإذا بصارخ آخر من مسجد ثان يكرِّر التنديد، لكنه مصحوب بالنداء إلى

الجهاد!! فقلتُ في نفسي: "هذا (حزب إسلامي) يريد إقامة دولة الإسلام و قد عجز عن توحيد كلمة مسجدين في هذا الظرف العصيب؟ يا لها من مغامرة يُساق إليها بلد مسلم! قد فعلْتَها بهذه الأمة يا ابن حاج!" ففزعت إلى الصلاة، و لم أشعر حتى فاضت عيناي بالدمع، و جال في مُخَيَّلتي قصة حماة بسورية، "وَلُكِنَّ اللهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدورِ".

و في سنة (١٤١٢هـ) دخلت الأحزاب الترشيحات البرلمانية، وفازت جبهة الإنقاذ في الدور الأول منها، ثم تغيَّرت الأوضاع فجأة، واستقال رئيس الجمهورية ابن جديد، و استبدلت الحكومة بأخرى ...

فلجأ خطباء الجبهة إلى منابر المساجد مستنفرين الأمة إلى الجهاد؛ يتلثَّم الخطيب كيما يُعرَف، فيشتم ثم يصلي بالناس الجمعة ثم يفرّ! وربما فرَّ قبل الصلاة!! وإذا حضرت الشرطة لم تجد إلا الأبرياء، فتأخذهم بجريرة أولئك الأبطال! أبطال هذه اللعبة الصبيانية – و إن رأوها مناورة حركية – !! و دخلوا في (مضاربة بلا رمح، و ليل بلا صبح)"[1].

سبحان اللّه

فيا لها من حكمةٍ للّه – عز و جل – باهرة، و مشيئةٍ قاهرة، أن تكون أنوار الحق من اللّه – سبحانه – ظاهرة، و دلائله وافرة، و طريقه عامرة، ثم تحيد عنه جموعٌ متكاثرة، فنسأل اللّه لنا و لهم الهدى و المغفرة ، و أن يقينا و إياهم من خزي الدنيا و عذاب الآخرة.

[1] مدارك النظر في السياسة ١١٢-١٢٨.

قال محمد البشير الإبراهيمي:
" أوصيكم بالابتعاد عن هذه الحزبيات التي نَجَمَ بالشّر ناجمُها، و هجم ـ ليفتك بالخير و العلم ـ هاجمُها، و سَجَم على الوطن بالملح الأُجاج ساجِمُها، إنّ هذه الأحزاب! كالميزاب؛ جمع الماء كُدَراً و فرّقه هَدَراً، فلا الزُّلال جمع، و لا الأرض نفع! ".

الفتاوى

"نص فاكس الشيخ الألباني إلى جبهة الإنقاذ الجزائرية

بسم اللّه الرحمن الرحيم

إن الحمد للّه نحمده و نستعينه و نستغفره ونعوذ باللّه من شرور أنفسنا، و من سيئات أعمالنا من يهده اللّه فلا مضل له، و من يضلل فلا هادي له و أشهد أن لا إله إلا اللّه وحده لا شريك له، و أشهد أن محمداً عبده و رسوله أما بعد؛ فإلى لجنة الدعوة و الإرشاد في الجبهة الإسلامية للإنقاذ، و عليكم السلام و رحمة اللّه و بركاته.

و بعد؛ فقد تلقيت أُصيلُ هذا اليوم الثلاثاء الموافق للثامن عشر من شهر جمادى الآخرة سنة (١٤١٢هـ) رسالتكم المرسلة إليّ بواسطة (الفاكس) فقرأتها وعلمتُ ما فيها من الأسئلة المتعلقة بالانتخابات التي قلتم إنها ستجري عندكم يوم الخميس أي بعد غد[1]، ورغبتم مني التعجيل بإرسال أجوبتي عليها، فبادرت إلى كتابتها ليلة الأربعاء لإرسالها إليكم بـ(الفاكس) أيضاً صباح هذا اليوم ـ إن شاء اللّه ـ شاكراً لكم حسن ظنكم بأخيكم و طيب ثنائكم عليه الذي لا يستحقه، سائلا المولى سبحانه و تعالى لكم التوفيق في دعوتكم و إرشادكم.

([1]) الغريب أنهم دخلوا في العمل السياسي قبل هذا بثلاث سنوات! فلما بقي على الانتخاب يوم ونصف يوم سألوا الشيخ عن مصير أمة!! فهل هذا هو دين طالب الحق؟! ثم لما جاءهم الحقّ من الشيخ لم يرفعوا به رأساً؛ لأنهم استمروا فيما نهاهم عنه، كما تراه ههنا!

وإليكم الآن ما يَسَّر اللّه لي من الإجابة عل أسئلتكم، راجيا من المولى سبحانه و تعالى أن يلهمني السداد والصواب في ذلك:

السؤال الأول: ما الحكم الشرعي في الانتخابات التشريعية (ما يسمى بالبرلمان) التي نسعى من خلالها إلى إقامة الدولة الإسلامية، و إقامة الخلافة الراشدة ؟

الجواب : إنّ أسعد ما يكون المسلمون في بلادهم يوم ترفع راية (لا إله إلا اللّه) و أن يكون الحكم فيها بما أنزل اللّه، وإن مما لا شك فيه أن على المسلمين جميعا ـ كل حسب استطاعته ـ أن يسعوا إلى إقامة الدولة المسلمة التي تحكم بكتاب اللّه وسنة رسول اللّه – صلى اللّه عليه و سلم – و على منهج السلف الصالح، و من المقطوع به عند كل باحث مسلم أن ذلك لا يمكن أن يتحقق إلا بالعلم النافع و العمل الصالح، و أول ذلك أن يقوم جماعة من العلماء بأمرين هامين جدا:

الأول: تقديم العلم النافع إلى من حولهم من المسلمين، و لا سبيل إلى ذلك إلا بأن يقوموا بتصفية العلم الذي توارثوه مما دخل فيه من الشركيات و الوثنيات حتى صار أكثرهم لا يعرفون معنى قولهم :(لا إله إلا اللّه)، و أن هذه الكلمة الطيبة تستلزم توحيد اللّه في عبادته تعالى وحده لا شريك له، فلا يستغاث إلا به، ولا يذبح ولا ينذر إلا له، وأن لا يعبدوه تعالى إلا بما شرع اللّه على لسان رسول اللّه – صلى اللّه عليه و سلم، و أن هذا من مستلزمات قولهم: (محمد رسول اللّه)، و هذا يقتضيهم أن يُصَفُّوا كتب الفقه مما فيها من الآراء و الاجتهادات المخالفة للسنة الصحيحة حتى تكون عبادتهم مقبولة، و ذلك يستلزم تصفية السنة مما دخل فيها على مر الأيام من الأحاديث الضعيفة و الموضوعة، كما يستلزم ذلك تصفية السلوك من الانحرافات الموجودة في الطرق الصوفية، و الغلو في العبادة و الزهد، إلى غير ذلك من الأمور التي تنافي العلم النافع.

و الآخر: أن يُرَبُّوا أنفسهم و ذويهم و من حولهم من المسلمين على هذا

العلم النافع، و يومئذ يكون علمهم نافعاً و عملهم صالحاً؛ كما قال تعالى: "فمَن كُانُ يَرْجُو لِقُاءَ رَبِّهِ فُلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَ لاُ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أُحَداً"، و حينئذٍ إذا قامت جماعة من المسلمين على هذه التصفية و التربية الشرعية فسوف لا تجد فيهم من يختلط عليه الوسيلة الشركية بالوسيلة الشرعية؛ لأنهم يعلمون أن النبي – صلى اللّه عليه و سلم – قد جاء بشريعة كاملة بمقاصدها و وسائلها، و من مقاصدها مثلا النهي عن التشبه بالكفار و تبني وسائلهم و نظمهم التي تتناسب مع تقاليدهم و عاداتهم، و منها اختيار الحكام و النواب بطريقة الانتخابات، فإن هذه الوسيلة تتناسب مع كفرهم و جهلهم الذي لا يفرق بين الإيمان و الكفر و لا بين الصالح و الطالح و لا بين الذكر و الأنثى؛ و ربنا يقول: "أَفُنَجْعَلُ المُسْلِمِينَ كُالمُجْرِمِينَ مَا لُكُمْ كُيْفَ تَحْكُمون" و يقول:"و لُيْسَ الذَّكُرُ كُالأُنثُى".

و كذلك يعلمون أن النبي – صلى اللّه عليه و سلم – إنما بدأ بإقامة الدولة المسلمة بالدعوة إلى التوحيد والتحذير من عبادة الطواغيت و تربية من يستجيب لدعوته على الأحكام الشرعية حتى صاروا كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر و الحمى كما جاء في الحديث الصحيح، و لم يكن فيهم من يُصِرُّ على ارتكاب الموبقات و الربا و الزنا و السرقات إلا ما ندر.

فمن كان يريد أن يقيم الدولة المسلمة حقا لا يُكتِّل الناس و لا يجمعهم على ما بينهم من خلاف فكري و تربوي كما هو شأن الأحزاب الإسلامية المعروفة اليوم، بل لا بد من توحيد أفكارهم و مفاهيمهم على الأصول الإسلامية الصحيحة: الكتاب والسنة و على منهج السلف الصالح كما تقدم، "ويَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ المُؤْمِنُون بِنَصْرِ اللّه". فمن أعرض عن هذا المنهج في إقامة الدولة المسلمة و سلك سبيل الكفار في إقامة دولتهم فإنما هو (كالمستجير بالرمضاء من النار)! و حسبه خطأ – إن لم أقل: إثماً – أنه خالف هديه – صلى اللّه عليه و سلم– و لم يتخذه أسوة و اللّه – عز و جل – يقول: "لقدْ كان لكُمْ في رَسولِ اللّهِ أسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كان يَرْجو اللّهَ وَ اليَوْمَ الآخِرَ وذكرَ اللّهَ كثِيراً".

السؤال الثاني: ما الحكم الشرعي في النصرة و التأييد المتعلقين بالمسألة المشار إليها سابقاً (الانتخابات التشريعية)؟

الجواب : في الوقت الذي لا ننصح أحدا من إخواننا المسلمين أن يرشّح نفسه ليكون نائبا في برلمان لا يحكم بما أنزل اللّه، و إن كان قد نص في دستوره (دين الدولة الإسلام) فإن هذا النص قد ثبت عمليا أنه وضع لتخدير أعضاء النواب الطيِّبي القلوب!! ذلك لأنه لا يستطيع أن يغيِّر شيئاً من مواد الدستور المخالفة للإسلام، كما ثبت عمليا في بعض البلاد التي في دستورها النص المذكور.

هذا إن لم يتورط مع الزمن أن يُقر بعض الأحكام المخالفة للإسلام بدعوى أن الوقت لم يحن بعدُ لتغييرها كما رأينا في بعض البلاد؛ يُغَيِّر النائب زيّه الإسلامي، و يتزيّا بالزي الغربي مسايرة منه لسائر النواب! فدخل البرلمان ليُصلِح غيره فأفسد نفسه، و أوَّل الغيث قطرٌ ثم ينهمر! لذلك فنحن لا ننصح أحدا أن يرشح نفسه؛ و لكن لا أرى ما يمنع الشعب المسلم إذا كان في المرشَّحين من يعادي الإسلام وفيهم مرشَّحون إسلاميون من أحزاب مختلفة المناهج، فننصح – و الحالة هذه – كل مسلم أن ينتخب من الإسلاميين فقط و من هو أقرب إلى المنهج العلمي الصحيح الذي تقدم بيانه.

أقول هذا – و إن كنت أعتقد أن هذا الترشيح و الانتخاب لا يحقق الهدف المنشود كما تقدم بيانه – من باب تقليل الشر، أو من باب دفع المفسدة الكبرى بالمفسدة الصغرى كما يقول الفقهاء.

السؤال الثالث : حكم خروج النساء للانتخابات ؟

الجواب : يجوز لهن الخروج بالشرط المعروف في حقهن وهو أن يتجلببن الجلباب الشرعي، وأن لا يختلطن بالرجال، هذا أولا.

ثمَّ أن ينتخبن من هو الأقرب إلى المنهج العلمي الصحيح من باب دفع المفسدة الكبرى بالصغرى كما تقدم.

السؤال الرابع : الأحكام الشرعية المتعلقة بأنماط العمل الشرعي في (البرلمان) و رجالاته ؟

الجواب :فنقول: هذا سؤال غامض مرادكم منه غير ظاهر لنا، ذلك لأن المفروض أن النائب المسلم لا بد أن يكون عالما بالأحكام الشرعية على اختلاف أشكالها و أنواعها، فإذا ما طرح أمر ما على بساط البحث فلا بد أن يوزن بميزان الشرع، فما وافق الشرع أيده و إلا رفضه؛ كالثقة بالحكومة، و القُسَم على تأييد الدستور ونحو ذلك !!

و أما رجالات البرلمان! فلعلكم تعنون: ما موقف النواب الإسلاميين من رجالات البرلمان الآخرين؟ فإن كان ذلك مرادكم فلا شك أنه يجب على المسلمين نوابا و ناخبين أن يكونوا مع من كان منهم على الحق كما قال رب العالمين:"وكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ".
و أما السؤال الخامس والسادس : فجوابهما يُفهم مما تقدم من الأجوبة.

و نضيف إلى ذلك أن لا يكون همُّكم – معشر الجبهة الإسلامية! – الوصول إلى الحكم قبل أن يصبح الشعب مهيَّئًا لقبول الحكم بالإسلام، و لا يكون ذلك إلا بفتح المعاهد و المدارس التي يتعلم فيها الشعب أحكام دينه على الوجه الصحيح و يربَّى على العمل بها و لا يكون فيهم اختلاف جذري ينشأ منه التحزب و التفرق كما هو الواقع الآن مع الأسف في الأفغان، و لذلك قال ربنا في القرآن : "و لا تَكُونوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ. مِنَ الَّذِينَ فرَّقُوا دِينَهمْ و كانوا شِيَعاً كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لدَيْهِمْ فرِحون"، و قال رسول اللّه – صلى اللّه عليه و سلم: "لا تقاطعوا و لا تدابروا و لا تباغضوا و لا تحاسدوا و كونوا إخوانا كما أمركم اللّه" رواه مسلم.

فعليكم إذن بالتصفية و التربية، بالتأني؛ فإن "التأني من الرحمن و العجلة من الشيطان"، كما قال نبينا عليه الصلاة والسلام[1]، ولذلك قيل: من استعجل الشيء قبل أوانه ابتلي بحرمانه، و من رأى العبرة بغيره فليعتبر، فقد جرب بعض الإسلاميين من قبلكم في غير ما بلد إسلامي الدخول في البرلمان بقصد إقامة دولة الإسلام، فلم يرجعوا من ذلك و لا بخفي حنين ! ذلك لأنهم لم يعملوا بالحكمة القائلة : "أقيموا دولة الإسلام في قلوبكم تقم لكم في أرضكم"، و هكذا كما قال – صلى اللّه عليه وسلم: "إن اللّه لا ينظر إلى صوركم و أموالكم و لكن ينظر إلى قلوبكم و أعمالكم" رواه مسلم.

فاللّه سبحانه و تعالى أسأل أن يلهمنا رشدنا، و أن يعلمنا ما ينفعنا، و يهدينا للعمل بشرعة ربنا، متبعين في ذلك سنة نبينا و منهج سلفنا، فإن الخير كله في الاتباع و الشر كله في الابتداع، و أن يفرج عنا ما أهمَّنا و أغمَّنا و أن ينصرنا على من عادانا، إنه سميع مجيب.

عمان صباح الأربعاء ١٩ جمادى الآخرة سنة ١٤١٢هـ

و كتب

محمد ناصر الدين الألباني أبو عبد الرحمن[2]".

([1]) حديث ثابت، رواه أبو يعلى والبيهقي، انظر » الصحيحة « برقم (١٧٩٥).

([2]) انظر مجلة » الأصالة « العدد الرابع ص (١٥ـ٢٢). قلتُ: لقد استغل بعض الحزبيين كلام الشيخ ليدَّعي أنه يرى جواز دخول البرلمان و الانتخابات! مع أن هذا الذي نَقلْتُه هنا عن الشيخ من أوضح الواضحات في نفي ذلك، لكن خوفاً من أن يَنطلي أمرهم على السذج أقول: إن الشيخ يرى تحريم دخول البرلمان و ما يَتْبعه من انتخاب لدليلين قد ذكرهما هو نفسه هنا، و هما:

الأول: أنه بدعة؛ إذ وسائل الدعوة في مثل هذه توقيفية، انظر إن شئت "الحجج القوية على أن وسائل الدعوة توقيفية" لعبد السلام بن برجس، على أن هذا لا يختلف مع قوله بأنها تَحكُمها المصالح المرسلة عموماً؛ و كثيراً ما كان الشيخ يُـرَدِّد كلام ابن تيمية من "اقتضاء الصراط المستقيم" ص (٢٧٨): "فكلُّ أمر يكون المقتضي لفعله على عهد رسول اللّه – صلى اللّه عليه و سلم – موجوداً لو كان مصلحة و لم يُفعل، يُعلَم أنه ليس بمصلحة ... و نحن نعلم أن هذا **ضلالة قبل أن نعلم نهياً خاصًّا عنها أو أن نعلم ما فيها من المفسدة**".

قلت: و قد سبق أن نقلتُ كلام الشيخ في أن هذا التحزّب للعمل السياسي مخالف لهدي النبي – صلى اللّه عليه و سلم – الذي دُعي بمكة للمشاركة في السلطة فأبَى؛ لأنه أصَّل عملُه على

التربية العقدية و الخلقية باديء ذي بدء، كما هو معلوم، هذا في الكلام عن قيام المقتضي مع ترك الفعل، و أما العلم بالنهي فوارِدٌ أيضاً، و يُبَيِّنه كلامُ الشيخ بعد هذا ، و أما العلم بالمفسدة في هذا العمل، فبيانه منه – حفظه اللّه – في **ملاحظة** قريبة، و اللّه وليّ التوفيق.

والثاني: أنه تشَبُّهٌ بالكفار؛ إذ لا يَختلف اثنان في أنه نظام مستورَد منهم.

فهذان الأمران يدلان على أن الشيخ لم يُحرِّمه لمفسدة زمنية أو مكانية يمكن نسخها بمصلحة زمنية أو مكانية، كلا! بل حرَّمه لذاته، فتنبّه! و لا يلتبِسن عليك أن جَوَّز الشيخُ الانتخابَ لبقية المسلمين بما فيهم النساء؛ لأن هذا قاله الشيخ في حالة ما إذا تَعنَّت الإسلاميون وأَبَوا إلا دخول البرلمان، فحينئذ ما داموا داخلين – و إن رغمَت فتاوى أهل العلم – فقد رأى الشيخ أنه لا بدّ على غيرهم من المسلمين أن ينتخبوا أقرب حزب إلى الإسلام، من باب دفع المفسدة الكبرى بالصغرى، و لكن الشيخ ينهى عن الدخول معهم في التحزب و التنظيم ... وكثيراً ما سُجِّل للشيخ قولُه لهذه الجبهة و غيرها: " **إن ركبتم رؤوسكم وأَبيتم إلا أن تكونوا كبش الفداء فعلى المسلمين الآخرين أن يختاروا من هذه الأحزاب أقربها إلى الإسلام؛ لا لأنهم سيُقدِّمون خيراً، و لكن من باب التقليل من شرِّهم** ". هذا هو رأي الشيخ فليُعلم!

ملاحظة: والغريب أن ينقل عبدُ الرحمن عبد الخالق في ص (٧٣) من كتابه "مشروعية الدخول إلى المجالس التشريعية" كلامَ الشيخ الألباني هذا مبتورا ليدَّعِي أن منع الشيخ دخول هذه المجالس "**إنما من باب أنه خلاف الأولى**"، كذا قال – هداه اللّه – مع أنه لا يَخفَى عليه و لا على غيره أن الشيخ – حفظه اللّه – ما اشتدّ انتقادُه عليه – هو بالخصوص – كما اشتدّ في هذه المسألة بعينها، يوم أن دعاه إلى بيته للمناقشة فيها، فلم يستجب له! و قال له الشيخ: " يا عبد الرحمن! إني أُعِظك أن تكون من الجاهلين! ".

قلت: و لولا خشية التلبيس ما كلّفت نفسي نقل هذا الآتي:

جاء في شريط مسجَّل من ((سلسلة الهدى و النور)) رقم (١/٣٥٢) أن سائلاً قال للشيخ الألباني: سمعنا أنك قلت – يا شيخ! – يجوز (أي دخول البرلمانات) و لكن بشروط؟!

قال الشيخ: "**لا! ما يجوز! هذه الشروط – إذا كانت – تكون نظرية و غير عملية**، فهل أنت تذكر ما هي الشروط التي بلُغتك عنّي؟".

قال: الشرط الأول: أن يحافظ الإنسان على نفسه.

قال الشيخ: " و هل يمكن هذا؟! ".

قال: ما جرَّبتُ!

قال الشيخ: " إن شاء اللّه ما تجرِّب! هذه الشروط لا يمكن تحقيقها؛ و نحن نشاهد كثيراً من الناس الذين كان لهم منطلق في حياتهم – على الأقل – في مظهرهم .. في لباسهم .. في لحيتهم .. حينما يدخلون ذلك المجلس ـ أي مجلس البرلمانات ـ و إذا بظاهرهم تَغيَّر و تبدَّل! و طبعاً هم يبرِّرون ذلك و يسوِّغونه: و أنّ هذا من باب المسايرة ...

فرأينا ناساً دخلوا البرلمان باللباس العربيّ الإسلاميّ، ثم بعد أيام قليلة غيَّروا لباسهم و غيَّروا زيَّهم!! فهذا دليل الفساد أو الصلاح؟! ".

و يقول "العلامة مقبل بن هادي – رحمه اللّه– في "تحفة المجيب": "و هذه الفتوى قد اتصلت بشأنها بالشيخ الألباني – حفظه اللّه – و قلت له: كيف أجت الانتخابات؟ قال: أنا ما أجتها، و لكن من باب ارتكاب أخف الضررين". فننظر هل حصل في الجزائر أخف الضررين أم حصل أعظم الضررين؟!"."[٢]

قال السائل: الشيخ يعني الإخوة في الجزائر و عملهم هذا ودخولهم المعترك السياسي؟

قال الشيخ: " **ما ننصح! ما ننصح في هذه الأيام بالعمل السياسي في أيّ بلد من بلاد الإسلام ...** ".

و في السلسلة نفسها برقم (١/٣٥٣) قال الشيخ: " و لهذا فأنا لا أقول كما قلتُ آنفاً: لا أرى الجهاد، **بل أحذِّر من الجهاد**؛ لأن الوسائل النفسية و المادية لا تساعد المسلمين على القيام بأيّ جهاد في أيّ مكان كان ... "، و قال: " **نحن ننكر تحزّب المسلمين في دائرة الإسلام؛ فأن يكون حزب إسلامي يسمَّى كذا، و حزب إسلامي يسمَّى كذا، هذا التحزّب ـ مع أنهم جميعاً يعملون في دائرة الإسلام و في صالح الإسلام و اللهُ أعلم بما في نفوسهم ـ مع ذلك فنحن لانرى أنه يجوز لدولة مسلمة أن تسمح لمثل هذا التكتّل و هذا التحزّب، و لو في دائرة الإسلام؛ لأن هذا ليس من صنيع المسلمين، بل هو من عادة الكافرين، و لذلك قال ربُّ العالمين: "وَ لاٰ تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَ كٰانُوا شِيَعاً كُلُّ حِزْبٍ بِمٰا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ**" ".

[1] مدارك النظر في السياسة ٣٦١-٣٦٦.

[2] بيان تحريم الانتخابات و حكم انتخاب الأصلح في المدلهمات.

قال عبد اللّه بن مسعود رضي اللّه عنه:

" وكم من مريد للخير لن يصيبه"

الدماء الدماء

"لقد حذرنا رسول اللّه – صلى اللّه عليه و سلم – من فتنٍ، القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي. من تشرف لها تستشرفه. ومن وجد فيها ملجأ فليعذ به، و من فتنٍ مواقعها خلال البيوت كمواقع القطر، و من فتنٍ لا يكدن يذرن شيئا، و من فتنٍ كرياح الصيف، منها صغار ومنها كبار، و من فتنٍ تموج كموج البحر "[1].

و لقد ظهرت في مصرنا موجة محمومة من الدخول بقوة في السياسة؛ توصلا إلى تطبيق الشريعة. و قد تبين مما سبق أن هذه الوسيلة ليست من الشريعة، و معلومٌ أن الوسيلة يجب أن تكون مشروعة، فالغاية – عندنا نحن المسلمين – لا تبرر الوسيلة، و ليست هذه الوسيلة من منهج النبي – صلى اللّه عليه و سلم – الذي قال: "لقد تركتكم على البيضاء ، ليلها كنهارها ، و لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك ، و من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا ، فعليكم بما عرفتم من سنتي ، و سنة الخلفاء الراشدين المهديين ، عضوا عليها بالنواجذ ، و عليكم بالطاعة ، و إن عبدا حبشيا ، فإنما المؤمن كالجمل الأنف ، حينما قيد انقاد"[2].

فهل تريد أن ينجح المنادون بتطبيق الشريعة في الانتخابات القادمة، الأمر الذي يستفز أعداء الدين، فينقضون بقضهم و قضيضهم على بلاد المسلمين، مخربين و مدمرين و مفسدين.

أو ترضى نجاح المنادين بتطبيق الشريعة بعد ترويضهم، و تليينهم و

[1] انظر كتاب الفتن و الملاحم في صحيح مسلم.
[2] السلسلة الصحيحة ٩٣٧.

تمييعهم ، فيقومون هم بدور المخربين و المدمرين و المفسدين للدنيا و الدين.

أو تود خسارة المنادين بتطبيق الشريعة ، الأمر الذي يُغضبهم، و يُغضب أتباعهم الذين شحنوهم و وَعَدوهم و مَنُّوهم – فيتحولون إلى مخربين و مدمرين و مفسدين.

"قال ابن عيينة، عن خلف بن حوشب: كانوا يستحبُّون أن يتمثَّلوا بهذه الأبيات عند الفتن، قال امرؤ القيس:

الحرب أول ما تكون فتيَّة ... تسعى بزينتها لكل جهول
حتى إذا اشتعلت و شبَّ ضرامها ... ولَّت عجوزاً غير ذات حليل
شمطاء يُنكر لونها و تغيَّرت ... مكروهة للشمِّ و التقبيل"[1]

خوفٌ و أمل

و المأمول أن تعلم – أخي في اللّه – أن قيام السلطات المعنية بوقف المضايقات الأمنية للمنتسبين للحركات الإسلامية هي نعمة من اللّه، و فرصة كبيرة، على العاقل أن يستغلها في الاقتداء بالسنة، و تَعَلُّم العلم الشرعي الصحيح؛ منهجًا و عقيدةً و فقهًا، و العمل به و تعليمه للناس، و الصبر على ذلك، كما قال – تعالى: " وَالْعَصْرِ . إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ . إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَ تَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَ تَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ"[2]، و يكون المسلمون جماعة واحدة، لا جماعات، و لا فرق، حتى يستشعر الناس حلاوة

[1] صحيح البخاري، كتاب الفتن، باب الفتنة التي تموج كموج البحر.
[2] سورة العصر.

الدين، و يحسوا بحاجتهم إلى هدي خير القرون، فيَسعدون، و يُسعدون. " إِنَّ الَّذِينَ آمَنوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَ أَخْبَتوا إِلى رَبِّهِمْ أُولئِكَ أَصْحَاب الْجَنَّةِ هم فِيهَا خَالِدون"[1]

[1] سورة هود، الآية ٢٣.

أخـي في اللّه ، أحـبك في اللّه

و هَا أَنَذا قد صَـدَقْتك، و عَلى الخير دَلَلْتك، وَ بِاليقين حَدَثْتك، و لَيْسَ بِالظُّنون.

فتَأمَّل عَاقبَة أمْرِك، وَ بِالحقِّ تَمَسَّك، فيَا سَعْدَكَ إن تَسلُك سَبِيل خير القرون.

وَ انْظُر مَآل سَعْيِك ، و تَحَرَّ سَبِيل رشْدِك، و عَن الشَّرِّ فأمْسِك، و أولئك هم الفائزون.

ألا مِنَ الشَّرِّ حَذَّرْتك، فلا تعْرِض فتَهلك، وَ إنْ تَأبَى فحَظُّك، و إنَّا لِلَّهِ و إنَّا إليْهِ رَاجِعون.

قال اللّه – تعالى:

" ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلى شَرِيعَة مِنَ الأَمْرِ فاتَّبِعْهَا وَ لا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لا يَعْلمون . إِنَّهمْ لنْ يغْنوا عَنكَ مِنَ اللّه شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضهمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ وَاللّه وَلِيّ الْمُتَّقِينَ ".